التخطيط الاقتصادي من منظور قرآني في عهد النبي يوسف عليه السلام (١٦٠٠-١٥٠٠ق.م)(*)

دكتور/ معين محمد رجب(**)

أولاً: مشكلة البحث:

تتكرر معاناة الإنسان الاقتصادية من حين لآخر، وتتعرض كثير من الدول لمحن وكوارث مختلفة، ويحفل التاريخ الاقتصادي بالعديد من المشاكل الاقتصادية والتى تتفاوت شدتها وحدتها من عصر لآخر، ومع أن هناك الكثير من أحداث التاريخ وتجارب الأمم السابقة وقصص القران الكريم التى تذخر بالوقائع والأحداث المهمة مثل ما تعرضت له مصر في زمن يوسف عليه السلام، إلا أن استفادة الإنسان من هذه الدروس محدودة للغاية، نتيجة لإهماله وتجاهله هذا الجانب المهم من الأحداث والتجارب التى حدثت في الميدان الاقتصادي.

ثانياً: أهمية البحث:

إن دراسة أحداث ووقائع التاريخ الاقتصادي تكشف الكثير من الجوانب المهمة ذات المغزى الكبير، وأن التعرض لها يتيح المجال للوقوف على

(*) يعرب الباحث عن عظيم شكره وفائق امتنانه للأخوة الأفاضل الذين أثروا هذا البحث بملاحظاتهم القيمة وآرائهم البناءة .

(**) أستاذ الاقتصاد المشارك كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية جامعة الأزهر بغزة.

تجارب خصبة، ذات معاني ودلائل بالغة الأهمية، في مجال اتباع المنهج العلمي السليم في التصدي لها، من حيث تحديد طبيعة المشكلة وتشخيصها ودراسة أبعادها المختلفة، واختيار المنهج الملائم للتعامل معها وعلاجها.

ثالثاً: أهداف البحث:

يسعى البحث لتحقيق الأهداف الآتية:

١ – التعرف على بعض أحداث ووقائع التاريخ الاقتصادي التي انفرد القرآن الكريم بالحديث عنها.

٢– تفهم المشكلات الاقتصادية الحادة التي تعرضت لها الأمم السابقة، ودراسة منهاج الإسلام في علاجها.

٣–الخروج بعدد من الاستنتاجات والدلائل المتعلقة بمنهج التخطيط الاقتصادي في الإسلام وعوامل نجاحه.

٤ –دراسة إمكانية الاستفادة من أحداث التاريخ الاقتصادي التي حفلت بها قصة يوسف عليه السلام في التطبيقات العملية.

رابعاً: فرضيات البحث:

١–إن التخطيط الاقتصادي والعمل المصاحب له الذي أعده يوسف عليه السلام لمواجهة محنة السنوات العجاف يدخل في إطار الإمكانات البشرية التي منحها الخالق للإنسان، وذلك رغم ضخامة هذه المحنة بشكل لم تعهده المجتمعات الإنسانية. ولا يعتبر هذا العمل ضمن المعجزات التي يستحيل على البشر القيام بها في أي عصر من العصور.

٢-إن الإمكانات التي منحها الخالق للإنسان غير محدودة، وأنه يستدل عليها بشكل أفضل عند الشدائد والمحن.

٣-رغم أهمية التعاون بين البلدان والشعوب، إلا أن الاعتماد الذاتي أو الداخلي على الإمكانات المحلية في ظل إدارة رشيدة، يظل العامل الأساسي والفعال لمواجهة التقلبات الاقتصادية الحادة.

خامساً: المنهج العلمي المستخدم:

لقد تطلب إعداد هذا البحث الاستعانة بأساليب بحثية متنوعة في طليعتها المنهج التاريخي القائم على دراسة أحداث ووقائع التاريخ الاقتصادي، لتحصيل مزيد من المعرفة حول الجوانب الاقتصادية لحياة الشعوب فيظل التقلبات الاقتصادية العامة من أجل الاستفادة منها في دراسة المشكلات الحاضرة، أخذا في الحسبان استخدام المنهج التحليلي لتلك الوقائع التي تركزت حول تجربة اقتصادية مهمة في عهد يوسف عليه السلام لتناولها القرآن الكريم بصورة محددة وصريحة ساعدت على استنباط واستقراء الكثير من النظم المتبعة في إدارة وتنظيم الحياة الاقتصادية.

سادساً: أقسام البحث:

استدعت طبيعة البحث تقسيمه إلى فصلين أساسيين، يتناول الأول منها: التفكير للعمل المستقبلي كمنهاج حياة، ثم العمل التحضيري وإعداد البرامج التنموية للخطط الاقتصادية، أما الثاني فجرى تخصيصه للعمل التنفيذي من خلال تقسيمه إلى أربعة مباحث هي الاقتصاد في مرحلة الرخاء، ثم المنهج الاقتصادي في الشدائد، وعودة الرخاء بعد السنوات العجاف، وأخيرا ارتباط النشاط الاقتصادي بالإيمان العقائدي، ثم خلاصة واستنتاجات.

الفصل الأول

التفكير للمستقبل والتحضير له

المبحث الأول

التفكير للعمل المستقبلي

أولاً: العمل من أجل المستقبل:

تحض الشرائع السماوية على الاهتمام الكامل بكل من العمل الدنيوي والعمل الأخروي، على حد سواء، أي بما يتوافق مع تلبية احتياجات الحاضر، ومتطلبات المستقبل. وفى هذا الإطار يعد الإنسان عدته من أجل مواجهة هذه الاحتياجات، وفى الحديث النبوي الشريف: "اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا"(١*)، وبمعنى آخر فإن كلاً من أمور الدنيا وأمور الآخرة ذات شأن عظيم للإنسان وعليه أن يحقق التوازن بينها بشكل دقيق.

ثانياً: تجارب الأمم السابقة:

وتدل تجارب الأمم حاضرها وماضيها على أن عجلة النمو الاقتصادي لا تسير بوتيرة واحدة، بل أن المجتمعات كافة تواجه حالات متباينة من الرخاء والشدة، واليسر والعسر، يقول تعالى : ﴿**إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾(٢) مما يقتضي الاستعداد لمواجهة مثل

(*) سيتم في نهاية البحث الاشارة إلى المصادر والمراجع والهوامش.

هذه الاحتمالات المتباينة بالقدر الذي يتناسب معها ، والأخذ بالأسباب للتغلب عليها.

كذلك فإن تصرفات المسلم ينبغي أن تكون محكومة بالإيمان بالله، وبالقدر خيره وشره، مع القناعة التامة بأن الرزق من عند الله، وأنه محدد سلفا، وأن كل ما يأتي من عند الله هو خير دائماً، مصداقاً للحديث النبوي الشريف: (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له)(٣).

إلا أن صبر المؤمن لا يتوقف عند الرضا والاستكانة أو الوقوف مكتوف اليدين، إذ أن الصبر مقرون بالعمل الصالح.

ثالثاً : قصص القرآن الكريم:

ومن التجارب التاريخية المهمة في مواجهة الظروف الاقتصادية بالغة الشدة ما يحدثنا به القرآن الكريم في قصة يوسف عليه السلام، حيث التقلبات الاقتصادية سنة الكون وناموس الطبيعة. ووفقا لرؤيا ملك مصر في المنام، وتفسير يوسف عليه السلام لهذه الرؤيا، فإنه يستدل على أن هناك أحداثاً جساماً يتوقع أن تتعرض لها البلاد، ولا يقتصر أثرها على فرد أو فئة معينة وإنما تمتد آثارها إلى المواطنين كافة، ولهذا فعلى كافة السكان أن يتحملوا مسئولياتهم في مواجهة هذه الأحداث، وبالتالي فإن هناك مهاماً تلقى على مختلف أفراد المجتمع من منطلق الحديث النبوي الشريف: "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته"(٤).

ولقد امتاز القرآن الكريم بالحديث عن كثير من وقائع الأمم السابقة وأحداثها، سواء في مجال الدعوة أو العقيدة، وما تعرض له الأنبياء خلال دعوتهم إلى توحيد الله، يقول تعالى: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ**﴾(٥).

ولقصص القرآن الكريم أهداف سامية، ومقاصد عالية، وخصائص فريدة وحكم متعددة، تشهد بأن هذا القرآن من عند الله . كما تمتاز هذه القصص بسمو الغاية، وشريف المقصد، وصدق الكلمة والموضوع، وتحري الحقيقة، بحيث لا تشوبها شائبة من الوهم أو الخيال، أو مخالفة الواقع"(٦). قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ**﴾(٧).

رابعاً: الفترة التي عاشها يوسف عليه السلام في مصر:

تتفق كثير من الروايات على أن يوسف عليه السلام قد عاش في عهد الملك "الريان بن الوليد" من العمالقة، ويرجح أن يكون ضمن الأسرتين الخامسة عشر والسادسة عشر لدولة الرعاة العربية بمصر أو الهكسوس، وكانت مصر في ذلك الوقت دولة متحضرة.(٨)

وتتضح معالم الحضارة المصرية من صور عديدة مثل المآدب والجلوس فيها والاتكاء على الوسائد والحشايا، وإعطاء كل امرأة سكينا حادة تدل على دقة الصنع(٩).

هذا بجانب تميز مصر على غيرها من البلاد المجاورة من خلال قول يوسف اجعلني على خزائن الأرض بدلا من خزائن مصر.

خامساً : رؤيا ملك مصر وتفسير يوسف عليه السلام لها:

كانت رؤية ملك مصر في منامه رؤيا غريبة ومخيفة، فقد رأى في المنام أن هناك سبع بقرات عجاف ضعاف يخرجن من قاع نهر النيل وأن هذه البقرات العجاف تتجه نحو البقرات السبع السمان فتلتهما عن آخرها. وبنفس القياس فإنه قد رأى سبع سنبلات يابسات يقضين على السنبلات الخضر اليانعات ، لهذا فإنه قام من منامه مفزوعا مهموما طالبا تفسيرا لهذه الرؤيا.

لقول تعالى : **﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ۞ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلامِ بِعَالِمِينَ﴾**(١٠).

توضح هذه الآيات اهتمام الحكام بتفسير الأحلام، وأن هذه الظاهرة كانت منتشرة انتشارا واسعا، وهناك اهتمام شديد لدى الناس بها حكاما ومحكومين، كما توضح ردود الفعل التي تتركها هذه الأحلام لدى الحكام سلبا أو إيجاباً، وكذلك الحرص على الوصول إلى تفسير مقنع لهذه الأحلام دون إهمال، لأي جانب من جوانبها، ودون مبالغة فيها.

يقول تعالى: **﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ۞ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلا قَلِيلا مِمَّا تَأْكُلُونَ۞ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلا قَلِيلا مِمَّا تُحْصِنُونَ۞ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾**(١١).

سادساً: الرجوع إلى العلماء وأهل الاختصاص:

لقد اهتم ملك مصر بالحلم الذي شاهده في المنام، وعرض هذه الرؤيا على كبار مستشاريه وعلى المقربين منه، إلا أنهم عجزوا عن تفسير هذه الرؤيا: لأنها أمر فوق قدراتهم وعلمهم، وأرادوا أن يصرفوا الملك عنها مع اعترافهم بالقصور، يقول تعالى: ﴿**قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلامِ بِعَالِمِينَ**﴾(١٢)

وهنا يظل الملك في حيرة تامة من أمره، إلى أن يصل إلى اسماعه اقتراح جديد من أحد العاملين بالقصر، الذي يشير عليه بالرجوع إلى أحد الخبراء في هذا الشأن وهو يقصد بذلك يوسف عليه السلام، الذي سبق أن قام بتفسير رؤى تحققت بالفعل من قبل ، وهنا لا يتردد الملك في استشارة أهل العلم وان كان يقبع في السجن. يقول تعالى: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾(١٣) وهى قاعدة مهمة جدا من قواعد الحكم يلزم الأخذ بها تحقيقا للصالح العام.

سابعاً: تفويض السلطات ومنح الصلاحيات:

حين اقتنع الملك اقتناعا تاماً بقدرات يوسف عليه السلام فوض السلطات التي يستحقها وأعطاه صلاحيات بلا حدود يقول تعالى: ﴿**قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ**﴾(١٤) إنك الآن يا يوسف ذو مكانة رفيعة في مملكتنا كلها وموضع ثقتنا جميعا.

ومؤتمن على كل شيء، ولا بد لمن يلى الأمور الشاقة والحالات العسيرة أن يكون بيده زمام المال ، وعنده مفاتح الخزائن، لأن المال عصب

الأمة وقوامها، وبالفعل أصبح يوسف عليه السلام مطلق اليد في شئون مصر وأموالها وخزائنها[١٥]

وهناك الكثير من الدلائل التي يمكن استخلاصها من هذه الآيات، منها: أن بلاد مصر وما حولها وهي مسرح الأحداث كانت مقبلة على ظروف بالغة التباين والتعاقب من حيث الرخاء والكساد. حث ستشهد المنطقة رخاء ورواجا لسبع سنوات متصلة بلا توقف، يعقبها سبع سنوات أخرى من القحط الشديد وبشكل متواصل، وكلتا الفترتين فيهما البلاء العظيم. ويعقب الفترتين السابقتين عام من الرخاء الوفير والخير العميم ، حيث يغاث الناس وتكثر المياه ويزداد الإنتاج ويتحقق عنه خير كثير يفيض عن حاجة السكان فيعصرون هذا الفائض من الحبوب والمحاصيل الزيتية والفواكه ونحوها.

ويطلق على هذه الحالة في المفاهيم الاقتصادية الحديثة الدورات الاقتصادية" التي تعني حدوث تقلبات شديدة وحادة في النمو تتراوح بين الرواج تارة، والكساد تارة أخرى، مع عودة الرخاء بعد ذلك وهكذا، مما يسبب آثارا اقتصادية سلبية ما لم تعد العدة لذلك[١٦].

وبناء على هذا التفسير تم تشخيص الحالة بالدقة المتناهية، وجرى تقديم الحلول المناسبة تماما لها، بالقدر الذي يحقق اجتياز هذه الأزمة على خير وجه، وذلك من خلال برنامج محكم صارم يلزم تنفيذه بأقصى درجات الالتزام.

ولما كان الأمر يتعلق برسل وأنبياء يعلمهم الله ويعلمون الغيب منه، حول ما يمكن أن يحدث في المستقبل، وكيفية مواجهة هذه الأحداث، أما في أحوالنا الراهنة فليس هناك مجال لظهور أنبياء جدد أو وسيلة للاطلاع بها

على الغيب، وبالتالي فهناك من يقول بأن هذه القصة من باب العلم بالشيء، ودراسة الأحداث دراسة تاريخية أو للثقافة العامة، وليس هناك ما يمكن تطبيقه منها، أو الاستفادة بدروسها في الوقت الحاضر.

ولعله من المناسب القول: إن مجالات الاستفادة من هذه القصة كثيرة ومتنوعة، وإن الدروس التي يمكن استخلاصها والعبر التي يمكن الاتعاظ بها لا نهاية لها. إذ يكفي التطلع إلى المستقبل والإعداد له في حدود قدرات المجتمع والتقيد بتنفيذ مما هو مخطط له لتدارك محن الزمن، والارتقاء بمعيشة السكان.

ثامناً: منهج التخطيط العلمي:

تأخذ كثير من الدول في التاريخ المعاصر بمنهج التخطيط العلمي القائم على تحديد أهداف مستقبلية، وإعداد برامج زمنية ضمن خطة طويلة الأجل، يجري تقسيمها إلى فترات أدنى، مع تحريكها عاما بعد آخر، أو فترة بعد أخرى حتى يستمر العمل التخطيطي والإعداد الكاف لمتطلبات المستقبل.

تاسعاً: مفهوم التخطيط الاقتصادي:

يمكن تعريف التخطيط الاقتصادي بأنه: "إعداد برنامج اقتصادي واجتماعي متناسق وتنفيذه، معتمدا على شيء من المركزية في الإعداد واللامركزية في التنفيذ، متضمنا تنبؤات للأهداف المرتبطة خلال فترة معينة، هادفا إلى تحقيق تنمية اقتصادية سريعة ومنظمة لجميع فروع النشاط الاقتصادي وجميع مناطق الدولة[١٧]. ويستدل من المفهوم السابق أن للتخطيط

الاقتصادي منهجاً علميا تأخذ به كثير من الدول على اختلاف أنظمتها الاقتصادية، إلا أنه يعتبر آمراً أو ملزما في الدول الاشتراكية، وتأشيرياً في الدول الرأسمالية. حيث يتعلق الأمر بالبرامج التنموية لفترات مستقبلية وتكون خطواتها الأولى الإعداد لهذا البرنامج قبل موعد حدوثه، بحيث يكون هذا الإعداد محكما، ودقيقا، وواقعيا، ومرنا، ومتناسقاً، وبقدر ما تتوفر فيه هذه الخصائص أو المواصفات بقدر ما يأتي التنفيذ قريبا من الأهداف المخططة.

هذا، وتبرز أهمية التنسيق في تحدد الأهداف من جهة وتعارضها من جهة أخرى وشمول التنسيق لمختلف قطاعات المجتمع وفئاته، الأمر الذي يتطلب وجود قدر كاف من التنسيق بين مختلف أجزاء الخطة والمشاركين في الإعداد لها والمشاركين في تنفيذها، بحيث يتم ذلك من خلال إشراف الدولة على هذا العمل المتكامل.

وتندرج تحت التخطيط الاقتصادي نوعيات منه تختلف أساساً بدرجة اختلاف الزاوية التي ينظر إليه منها، فهناك التخطيط الاقتصادي الشامل، والتخطيط الجزئي، وهناك القومي والتخطيط الإقليمي[١٨].

ويراعى أن العمل التخطيطي عمل مسلم لا يتوقف عند مرحلة معينة، وأنه يتكون من سلسلة متتابعة الحلقات تتواصل مع استمرارية الزمن، وهي بطبيعة الحال مقسمة إلى حلقات، فإذا ما تم تنفيذ جزء منها فانه يفسح المجال للتفكير في مرحله زمنية لاحقة وهكذا، وبمعنى آخر فإن العمل التخطيطي يتصف بالديمومة والشمول باعتباره منهاج حياة يتيح المجال لأخذ الحيطة لأحداث المستقبل على اختلاف أشكالها.

وسوف نعرض له من خلال المراحل الأربع الآتية: التحضير للخطة

والإعداد للعمل المستقبلي. فترة الرخاء ومدتها سبع سنوات. وفتـــرة الشـــدة ومدتها سبع سنوات كاملة ثم الرخاء مجددا ومدتها عام واحد.

المبحث الثاني
العمل التحضيري

تعتبر المرحلة التحضيرية من أهم مراحل العمل التخطيطي، وهي من الوجهة الزمنية تسبق تنفيذ الخطة مباشرة، ذلك أن الإعداد الجيد والتحضير الكافي يساعد على استمرار نجاح الخطة بغض النظر عن الفترة الزمنية التي تستغرقها والجهود الموجهة نحوها.

أولاً: المهام الواجب القيام بها خلال فترة التحضير:

١- استكمال الجهاز المؤسس القادر على العمل التخطيطي: حيث يتم التخطيط من قمة التنظيم الهرمي فهابطا إلى القاعدة، كما قد يتم بشكل عكسي(١٩).

٢- وضع الرجل المناسب في المكان المناسب. وتبرز لنا في قصة يوسف عليه السلام انه أعلن عن رغبته في القيام بقيادة هذا العمل بنفسه من منطلق علمه التام بقدرته على إنجاز هذا العمل دون غيره، واستعداده لأداء هذا الدور وتحمل تبعاته رغم المسؤوليات الواقعة على عاتق من يتصدى لهذا الأمر.

٣- دراسة الأوضاع الاقتصادية التي تحققت خلال الفترة الماضية والتي قد تتراوح مدتها بين (٥-١٠ سنوات) فيما يطلق عليه الماضي القريب، وذلك من جوانبها المختلفة بإيجابياتها وسلبياتها لاستخلاص العبر الكافية منها، حيث يمكن تعرف منجزات تلك الفترة، ومكامن القوة

والضعف فيها.

٤- دراسة الوضع الاقتصادي الراهن: وهو يشمل فترة المرحلة التحضيرية وذلك بشكل دقيق ومفصل، من منطلق أن الماضي أساس الحاضر، والحاضر أساس المستقبل. مع استخلاص كافة المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية التي تعبر عن هذا الواقع الراهن، بما في ذلك حساب كافة الموارد الاقتصادية المتاحة للمجتمع وحصرها وفرص استغلالها، هذا إضافة إلى الأخذ في الحسبان الأوضاع الاجتماعية و العسكرية والأمنية والسياسية، والعلاقات الاقتصادية الدولية والمتغيرات العالمية.

٥- الاطلاع عن كثب وبصورة ميدانية على أحوال وحياة الناس وهو ما قام به يوسف عليه السلام بعد أن تولى إدارة شئون مصر الاقتصادية، حيث خرج وارتحل في كل أرض مصر لتفقد الأحوال وتهيئة الأعمال الحزمة لمقاومة الجوع في البلاد[٢٠].

٦- دراسة تطلعات المجتمع لفترة زمنية بعيدة، يجري خلالها الوقوف على آمال هذا المجتمع وأهدافه المستقبلية، وخاصة تلك التي تتصف بالواقعية، مع ترتيبها وفقا لأولوياتها ودراسة إمكانيات تطبيقها. وفي هذه الحالة يفضل تحديد مدى بين الحدود الدنيا، والحدود القصوى لما يمكن تنفيذه، مع ربط هذه الأهداف بفترات زمنية معينة، تنقسم كل منها إلى فترات أقصر، ليتسنى إعداد برامج زمنية موازية لها، مع القدرة على متابعة منجزات هذا العمل في حينه.

٧- مشاركة مختلف الأطراف في الأعداد والتحضير لتبصيرهم بطبيعة المرحلة المقبلة وبمتطلباتها؛ ليتسنى طرح مختلف الأفكار والمقترحات،

والتنبيه إلى الأولويات ومختلف الاحتياجات اللازمة للتنفيذ.

ثانياً: أهمية التحضير للخطة:

ويلاحظ أن التحضير للخطة في عهد يوسف عليه السلام جاء منطقيا من حيث البعد الزمني، فالرؤيا التي شاهدها عزيز مصر تنبئ عن أحداث ستحدث في المستقبل، وأن تفسير يوسف عليه السلام جاء متقابلا مع هذه الرؤيا من حيث الزمن، إذ أن البلاد مقبلة على سبع سنوات رخاء، ثم سبع سنوات عجاف، يلي ذلك سنة إضافية يعود فيها الرخاء من جديد، أي أن هذه الأحداث ستتم في المستقبل القريب، وأن الفترة التي بدأت بالرؤيا ثم تفسير هذه الرؤيا إلى حين بدء سنوات الرخاء تمثل فترة انتقالية أو فترة تحضيرية، أي فترة الاستعداد للتعامل مع الأحداث المقبلة، والتي نتصور أن تكون مدلها في حدود سنة واحدة على وجه التقريب.

وبالرجوع إلى المفهوم السابق للتخطيط نلاحظ أنه لد بدأ بكلمة "إعداد" وهى تعنى تحضير للبرنامج المطلوب تنفيذه[٢١]. ونتصور أن المطلوب عمله خلال المرحلة التحضيرية إضافة إلى ما سبق هو العمل الإعلامي، الذي يتم فيه شرح ووصف للمرحلة التي ستعيشها البلاد والواجب الملقى على عاتق كل فرد في هذه المرحلة لكي يكون على علم بها ، وبما يدور من حوله، ولكي يعلم الدور المنوط به والاستعداد له والمشاركة الإيجابية فيه.

ثالثاً: الاجتهاد في نفي التهم:

يعتبر من الضرورة قيام الإنسان بإزالة الشكوك من حوله، وذلك إذا

كانت هناك تهمة موجهة إليه. ولقد حرص يوسف عليه السلام على إبراز هذه الحقيقة والدفاع عن نفسه قبل خروجه من السجن، وقام الملك بتلبية هذه الرغبة وتحقق من براءة يوسف ونفى التهمة عنه لهذا فإن العلماء يرون أن الاجتهاد فى نفى التهم أمر واجب ، حتى لا يستغل هذا الأمر أو يساء فهمه من قبل الناس(٢٢). ولهذا نجد يوسف قد كبر عليه أن يخرج من السجن وعليه سمة المجرمين بل أراد أن يخرج وهو ثابت البراءة مرفوع الرأس أبيض الصحيفة(٢٣).

رابعاً: موقف الإسلام من طلب التولية، وتزكية النفس:

قال تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿**قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾(٢٤). ويقول تعالى: ﴿**فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ...**﴾(٢٥).

ويقول عليه الصلاة والسلام: "إنا والله لا نولي أحدا هذا العمل سأله"(٢٦). من ذلك يتبين أن هذين الأمرين محظوران في الإسلام والواقع أنه لو لم يتقدم يوسف لها فلن يتقدم إليها أحد نظرا لأنها مهمة شاقة للغاية، وتتطلب مواصفات ومؤهلات غير متوفرة لأحد في ذلك الوقت.

والمسألة هنا مسألة جدب فلا تحتمل التجربة، ويوسف كفء لهذه المهمة يملك موهبة الحفظ والعلم فيندب نفسه لهذا العمل(٢٧).

ولم يكن يوسف يطلب لشخصه وهو يرى إقبال الملك عليه، إنما كان حريصا في اختيار اللحظة المناسبة لينهض بالواجب المرهق الثقيل في أشد أوقات الأزمة، وليكون مسئولا عن إطعام شعب كامل وشعوب كذلك تجاوره طوال سبع سنوات لا زرع فيها ولا ضرع فليس هذا غنماً يطلبه يوسف

لنفسه إن التكفل بإطعام شعب جائع سبع سنوات تبعة يهرب منها الرجال[٢٨].

أما تقديم الحفظ على العلم فقد جاء لان الحفظ هو المقصد والمطلب حيث يشمل الحساب ومعرفة الألسن والتصرف في الصادر والوارد، أما الجمع بين العلم والحفظ فيفيد الخبرة والمقدرة والعلم ، وهذا بيان للمؤهلات.[٢٩]

كما أن يوسف عليه السلام كان مدركا لحقيقة الأمر وخطورته، وأنه ليس هناك مجال للتردد أو إضاعة للوقت في مجال منح غير القادرين فرصا لاختبار قدراتهم الأمر الذي يتطلب حسما قاطعا وتدخلا سريعا.

يتبين كذلك أن طلب يوسف عليه السلام للولاية كان فيه مرضاة لله[٣٠] ولأنه متحصن بالعلم والحفظ والأمانة، فيصبح الأمر بالنسبة له تكليف مطلوب القيام به.

ويفهم مما تقدم أنه قد جرى الإعداد والتحضير لخطة كاملة متكاملة مدتها ١٥ سنة، وأنه تم حشد متطلباتها، وتحديد الأدوار المنوطة بكل طرف منها، بحيث يتحمل كل طرف مسؤولية القيام بالعمل المنوط به على خير وجه، كذلك فإن المجتمع قد تكافل وتعاهد على العمل كفريق واحد تحت لميادة موحدة، كما أن ساعة الصفر لتنفيذ أهداف الخطط ومراحلها المتتابعة قد تحددت مع بداية السنة الزراعية الجديدة.

الفصل الثاني

العمل التنفيذي

المبحث الأول

المنهج الاقتصادي في مرحلة الرخاء

مقدمة:

يأتي الحديث عن المنهج الاقتصادي في مرحلة الرخاء الأولى في إطار الأسس التي انتهجها سيدنا يوسف عليه السلام، وهو يعد العدة لمواجهة سنوات القحط والجفاف، التي ستعقب الرخاء والرواج. يقول تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلا قَلِيلا مِمَّا تَأْكُلُونَ ۞ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلا قَلِيلا مِمَّا تُحْصِنُونَ﴾[٣١].

في هذه السنوات لقد جاد النيل بالمياه وارتوت الأرض وامتد الخير، وجرى بناء الأهرامات وإعداد المخازن وملئها بالغلات الوفيرة.[٣٢]

أولاً- الخصائص التي تميزت بها مرحلة الرخاء:

١ -أن النشاط الزراعي هو المجال الرئيسي للإنتاج، وهو النشاط القائد الذي تتوقف على نجاحه نتائج أعمال الأنشطة الأخرى، ولا غرو في ذلك فهو مصدر المنتجات التي تشبع الحاجات الغذائية الضرورية.

٢- جرى حشد أقصى الموارد الاقتصادية المتاحة، سواء أكانت مادية أم بشريه، حتى يمكن توجيهها نحو خدمة الأرض ورعايتها، ليتسنى الحصول على أكبر قدر من الناتج الزراعي، وذلك خلال مرحلة

الرخاء.

٣- بروز عنصر العمل في النشاط الزراعي بحيث يقع على عاتقه عبئا كبيرا ودورا متميزا بشكل متواصل طيلة هذه المرحلة، يقول تعالى: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾(٣٣)، ويتطلب ذلك حصر الطاقات البشرية الزراعية والعمل على استغلالها الاستغلال المناسب.

ومعنى الدأب هنا هو بذل أقصى الجهد بطريقة جادة مستمرة، تحقق الاستغلال الكامل للطاقة الإنتاجية البشرية في عمل مثمر بلا كلل وبدون انقطاع باستثناء الأوقات الضرورية للراحة أو الأوقات التي تفرضها طبيعة العمل. أي أن أداء العامل سيكون عاليا ويترتب عليه زيادة كبيرة ومتتابعة في الإنتاج.

إلا أن هناك عوامل تؤثر في زيادة الإنتاج وتجعله قابلا لأن يتحقق بصورة أفضل في الحالات الآتية:

- إذا كان العامل أو المزارع متمتعا بصحة جيدة وقوى عقلية وجسدية ملائمة.
- إذا كان المزارع ملما تماما بأمور عمله، ولديه خبرات ودراية واسعة بها.
- إذا جرى توظيف المزارعين توظيفاً كاملا.
- إذا كان العامل يعمل في المجال الأكثر ملائمة لقدراته وتخصصه.
- إذا كانت هناك إدارة حازمة وعمل تعاوني.

ومن الطبيعي أن يؤخذ الناس بالحزم والضبط لتهيئتهم لاستقبال السنين المجدبة(٣٤).

٤- أن كمية المياه اللازمة للري ستكون وفيرة جدا سواء من خلال سقوط

الأمطار الغزيرة، أو من خلال فيضان مياه الأنهار والوديان، أو غير ذلك من المصادر، آخذين في الحسبان اعتماد مصر على مياه نهر النيل بشكل رئيس. وتتيح وفرة المياه استغلال الأرض أفضل استغلال ممكن فتنمو المحاصيل والنباتات، وترعى الحيوانات وتتكاثر الطيور، وتزداد الثروتان النباتية والحيوانية.

٥- البدء ببناء السدود والقناطر لحجز المياه وتجميعها، والتحكم في صرفها، وإقامة مجمعات المياه النقية والخزانات الجوفية والعلوية، ليتسنى تخزين أكبر قدر ممكن من المياه، ومن ثم تلبية متطلبات مرحلة الرخاء، بتوفير كل من مياه الشرب ومياه الري للحاضر، وكذلك احتياجات الإنسان المستقبلية خلال فترة الجدب والقحط.

٦- بناء المخازن والصوامع لحفظ الغلال ومختلف أنواع المنتجات المترتبة على مرحلة الرخاء. بحيث يتوافر لهذه المخازن مواصفات كافية من حيث السعة لكميات هائلة من المخزون، تكفي استهلاك المجتمع لسبع سنوات كاملة خلال فترة الجدب، مع القدرة على تلبية احتياجات المناطق المجاورة التي ستضطرها ظروف القحط المنتشرة في المناطق المجاورة للجوء إلى مصر للحصول على القوت الضروري سواء بالمقايضة بما يمتلكون من ثروات أو بالعملات النقدية. مع وضع نظام دقيق لتخزين مختلف الأصناف بحيث يتم تخزين كل صنف أو محصول بالطريقة التي تتناسب مع خصائصه. بجانب توفر كافة الاشتراطات لهذه المخازن من حيث السعة والتهوية والحرارة وسميت بالأهرام نظرا لاتخاذها الشكل الهرمي بسبب ارتفاعها من جهة

وضخامة حجمها من جهة أخرى.

كما يجب أن يتم بناء هذه المخازن خلال السنة الأولى لمرحلة الرخاء قبل موسم الحصاد، حيث يتم الاستفادة بها بالبدء بتخزين حصيلة العام. ويمكن التدرج في بناء المخازن عاما بعد آخر بما يتناسب مع الأعوام السبعة للرخاء.

٧- مسك سجلات ودفاتر لقيد الكميات التي يجري تخزينها، سواء من المياه أو الحبوب حسب الأصناف المختلفة، مع إعداد نظام ملائم للصرف من المخازن.

٨- إعداد كوادر بشرية ماهرة مدربة تستطيع القيام بمختلف أعمال المخازن من حيث تحديد أصناف المخزون وكمياته وتواريخ إدخالها، وتحديد الأشخاص المسئولين عن هذه العهد حتى يمكن المحاسبة على كل تقصير.

ثانياً - كيفية الاستفادة من الناتج الوفير:

إن الاستفادة من الناتج الوفير يجب أن تصل إلى مستوى عال من الاستخدام، آخذين في الحسبان أن سنوات الرخاء وإن طالت فسوف يعقبها لا محالة سنوات طويلة من الجفاف التي ستلتهم أكبر قدر من الفائض. كذلك فإنه إذا عم الرخاء في منطقة معينة وعاش أهلها في وفرة من العيش، فقد يكون هناك أناس محرومون من هذه النعم.

ولهذا فقد جاء تعبير يوسف عن الحفظ والعلم كأمر له أهميته القصوى. فهو حفيظ للأموال ممن لا يستحقها، وهو حفيظ لها في الخزائن المناسبة لها،

وهو خبير بالأوقات التي تدعو الحاجة لاستخدامها، كما أنه خبير بالجهات التي تصلح لمن يصرف المال إليها، عليم بمصالح الناس وبمواقفهم عليم بوجوه التصرف دخلا وإنفاقا(٣٥).

وبالتالي فإن الاستفادة من مرحلة الرخاء تتم بمراعاة الآتي:

ا- تقسيم المحصول الذي سيتم إنتاجه إلى ثلاثة أقسام أساسية وهى:

أ-القسم المخصص للاستهلاك:

وسيكون خلال هذه المرحلة ضئيلة للغاية يقول تعالى: ﴿**إِلا قَلِيلا مِمَّا تَأْكُلُونَ**﴾(٣٦)، لكي يتم الوفاء بمخصصات القسمين الآخرين. ويتفق ذلك مع حاجة الجسم الضرورية مصداقا للحديث النبوي الشريف: "بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه"(٣٧). وتتجلى حكمة الخالق عز وجل العليم الخبير في جعل حاجة الجسم من الطعام محدودة جدا بالكيفية الموضحة في الحديث الشريف دون إضرار بجسم الإنسان. وقد يكون لهذا التقنين منافع صحية عديدة. ويشمل هذا القسم أيضا ما يتم تصنيعه من الطعام، وما يتم إطعامه للحيوان للإبقاء على مستوى الثروة الحيوانية.

ب- القسم المخصص للادخار:

وهو ذلك الجزء الذي سيؤجل استهلاكه لسنوات القحط والجفاف وهذا الجزء سيكون كبير جدا، إذ لا يقل عن الجزء المخصص للاستهلاك في وقت الرخاء.

ج - الجزء المخصص للاستثمار:

وذلك من خلال زراعته في مرحلة الرخاء التالية لسنوات الجفاف، والذي سيجري الاحتفاظ به لمدة تزيد عن سبع سنوات كاملة. وهذا الجزء سيكون قليلا مقارنة بما سبقت الإشارة إليه من المخصصات السابقة لأنه سيقتصر على متطلبات البذور والتقاوي لعام واحد فقط، غير أن هذا الجزء المخصص للبذور يجب أن يكون من أجود الأصناف وأكثرها صلاحية للزراعة حتى يمكن أن يساهم في تحقيق إنتاج وفير.

٢- يراعى عند القيام بالتصنيف السابق بين الاستهلاك والادخار مراعاة خصائص كل منهما بما يتناسب مع استخدامه، مما يتطلب ترتيب هذه الأصناف حسب درجات الجودة، فلتم إعطاء الأولوية في الاستهلاك للأصناف الأقل جودة أو الأقل مرتبة، باعتبار أن الأصناف الأعلى جودة أكثر قدرة على التخزين من غيرها.

٣- إقامة الجديد من مشاريع التصنيع على الأصناف القابلة للتلف والتي يتعذر إبقاؤها على حالتها الأصلية فترة طويلة من الزمن، ذلك أن التصنيع يتم بصور مختلفة مثل العصير، أو التجفيف أو التمليح أو التسكير، ويتحقق عن هذا التصنيع إمكانية الاستفادة من المحصول بأكمله ، مع إضافة أصناف جديدة يتحقق عنها منافع متعددة.

٤- يمكن إجراء مبادلات سلعية مع بلدان أخرى من خلال التجارة الخارجية يتم بموجبها مبادلة بعض الأصناف الفائضة التي يتعذر تخزينها خلال فترة الرواج، سواء أكانت المبادلة بالنقود أم بالمقايضة، ومن ثم يمكن الاستفادة من المتحصلات النقدية في المستقبل لاستخدامها في شراء

المنتجات من البلدان الأخرى في سنوات القحط والجدب. أما إذا كانت المبادلات تتم بطريقة المقايضة فيمكن إبرام الصفقات على أساس تسليم منتجات حاضرة واستلام المقابل لها في فترات لاحقة خلال فترات الجدب والقحط.

٥- إعداد نظام دقيق للتفتيش على المحاصيل والأصناف المخزنة. ويتحقق عن ذلك الاطمئنان على سلامة هذه الأصناف وعدم ترضها للتلف الناشئ عن العوامل الجوية أو لاعتداءات الزواحف والطيور أو السرقات.

٦- إعداد نظام للصيانة الدورية للمخازن والصوامع وكذلك للأحواض والتجمعات المائية والسدود والقناطر حتى تظل تعمل بكفاءتها العالية وضمان قيامها بالوظائف المخصصة لها على أكمل وجه.

المبحث الثاني
المنهج الاقتصادي عند الشدائد

أولا: تتابع مراحل التخطيط:

تمثل هذه المرحلة جزءا من المخطط الشامل الذي أعده يوسف عليه السلام . فاستنادا إلى ما أوحى الله إليه في تفسير حلم "ملك مصر" بشأن ما ستتعرض له المنطقة من التعاقب بين حالات الرخاء والشدة، فقد أعد يوسف عليه السلام خطة عامة طويلة الأجل مدتها خمسة عشر عاما، تبدأ بخطة رخاء سبعيه وهى خطة متوسطة الأجل، ثم خطة قحط وجفاف سبعيه أيضا، ثم خطة رخاء أخرى قصيرة الأجل مدتها عام واحد.

وطبيعي فإن استكمال الخطة طويلة الأجل على النحو السابق ذكره استدعت وجود فترة تحضير وإعداد سابقة اتسمت بالجهد المكثف والعمل الدؤوب للانطلاق بالخطة دون عوائق على نحو ما سبق ذكره.

١- الخطة السباعية الثانية:

يقول تعالى: **﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلا قَلِيلا مِمَّا تَأْكُلُونَ۞ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلا قَلِيلا مِمَّا تُحْصِنُونَ۞ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾**(٣٨).

وحديثنا في هذا المقام يتركز على الخطة السبعية الثانية، وهي مرحلة الشدائد والمحن. وهي كما ذكرنا تمثل مرحلة لاحقة لفترة الخصاب والنماء

التي جرى خلالها تخزين أكبر قدر من صنوف الطعام، وذلك في ظل نظام دقيق وصارم لتقنين الاستهلاك. فعبر السنوات السبع السابقة -أي مرحلة الرخاء- جرى تراكم ضخم في المخزون السلعي عاما بعد آخر، ليصل إلى ذروته في نهاية تلك المرحلة. الأمر الذي يؤكد أن الحياة في حركة مستمرة، وهى دائمة التقلب بلن الرخاء والشدة واليسر والعسر. يقول تعالى: ﴿**وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ**﴾(٣٩).

٢ -خصائص مرحلة الشدائد:

واستكمالا لما سبق نجد أنفسنا في مواجهة مرحلة بالغة الصعوبة وهى سنوات طويلة من القحط والجدب والجفاف المتواصل بدون توقف. وهي في الوقت نفسه فترة ابتلاء وامتحان. وفي هذه السنوات سيستمر انخفاض الفيضان لسبع سنوات متتاليات يصعب فيها تخصيص أي قدر من المياه للري خوفاً من حدوث مجاعات تستهلك ما تم ادخاره من قبل.(٤٠)

وبموجب ذلك ستحدث أزمة اقتصادية طاحنة، تهدد الناس بالمجاعة في مصر والمنطقة كلها، وقد قدم يوسف الحلول للمشاكل المرتقبة بأمانة واقتدار.(٤١)

ولنا أن نتخيل جانبا محدودا من صعوبتها، حينما نلمس القلق الشديد الذي يشعر به الإنسان في الوقت الحاضر، عند انحباس المطر لموسم واحد أو مواسم قليلة، من منطلق خوفه على لقمة العيش، وذلك بالرغم من أن العالم في الوقت الحاضر أكثر ترابطا عن ذي قبل من خلال سهولة الاتصالات والمواصلات، مما يشمر نقل المؤن والطعام من أي بلد لآخر في

وقت قصير.

ثانياً: مظاهر الحياة الاقتصادية في مرحلة الشدائد والمحن:

١ - توقف النشاط الإنتاجي المعتاد:

خلال هذه المرحلة يتوقف النشاط الإنتاجي المعتاد ممثلا في زراعة الأرض واستغلالها بسبب انحباس المطر، وانعدام المياه الجوفية وتوقف جريان الأودية والأنهار، وعدم توفر أي جزء من المخزون المائي الذي يمكن تخصيصه للري. ويقتصر المخزون المتاح للمياه على احتياجات الشرب المحدودة للإنسان والحيوان.

٢ - النشاط التصنيعي ونشاط النقل :

إن توقف النشاط الزراعي خلال هذه المرحلة، لا يعنى توقف الأنشطة الأخرى بشكل كامل، فمن الضروري القيام بطحن جزء من الحبوب التي سيجري سحبها من المخزون، ثم نقل الحبوب أو الدقيق إلى أماكن توزيعه، ليتسنى حصول المواطنين عليه وفقا للجدول الزمني للتوزيع، هذا بجانب بعض أنشطة تصنيعية إضافية مكملة.

٣- النشاط التوزيعى هو النشاط الغالب:

(أ) التقيد بنظام علمي للسحب من المخزون:

يعتبر توزيع القوت اليومي والغذاء الأساس على السكان من أبرز سمات هذه المرحلة وذلك إضافة لما سبق ذكره، فهي تتركز على السحب من

المخزون المكدس في صوامع الدولة ومخازنها. ولاشك أن السحب من المخزون في هذه المرحلة يجرى بنظام بالغ الدقة على أساس قاعدة الوارد أولا صادر أولا بمعنى أنه سيتم سحب المخزون الأقدم من حيث الزمن، وبالتالي فعند السنة الأولى سيتم سحب مخزون السنة الأولى من فترة الرخاء، وبذلك يكون قد انقضى على هذا المخزون سبع سنوات كاملة، وهى أدنى فترة ممكنة للتخزين وفقا لهذه الخطة، ويتكرر الشيء نفسه خلال السنوات التالية، حتى انتهاء السنة السابعة.

أما لو تم سحب أي مخزون آخر خلافا لهذا النظام، فإن هناك مخزونا ستزيد فترة تخزينه عن سبع سنوات، وستكون فرصة تعرضه للتلف عالية مقارنة بغيره، غير أنه استثناء لما سبق فانه تعطى الأولوية في الصرف للأصناف المعرضة للتلف قبل غيرها.

ويراعى استكمالا لما تم ذكره أن لا يقتصر المخزون على الحبوب ولكنه قد يشمل صنوفا أخرى من الطعام لحاجة الإنسان والحيوان، إضافة إلى مخزون المياه الواجب توزيعه أيضا وفقا للاحتياجات الحقيقية للشرب.

(ب) التوزيع العادل ومتطلباته:

(ب /ا) حصر عدد السكان:

من الأهمية بمكان أن يكون توزيع الطعام عادلا بين السكان بالقدر الذي يحفظ الحياة لجميع الأفراد كحد أدنى. وهذا يتطلب إجراء حصر كامل للسكان من فترة لأخرى، بما في ذلك تصنيف السكان حسب فئات السن والنوع، والحالة الصحية والموقع الجغرافي.

(ب /٢) تحديد احتياجات الفرد الواحد من صنوف الطعام:

إن التوزيع العادل يقتضي تحديد الاحتياجات الحقيقية لكل فرد، ولكل أسرة، لان هناك اختلافا بين حاجات أفراد الأسرة الواحدة من حيث الكم والنوع، فحاجة الكبير تختلف عن حاجة الصغير، وحاجة السليم تختلف عن حاجة السقيم. وهذا الوضع يغرض من حين لآخر دراسة الاحتياجات الفعلية للأسرة الواحدة بلا إسراف أو تقتير؟ لان الانحراف عن الاحتياجات الفعلية من شأنه حرمان آخرين من الطعام أو تعريض جزء من السكان للهلاك جوعا.

وبناء على ما سبق فإن المرحلة الثانية محل البحث تضمنت بدورها ترشيدا كبيرا في الاستهلاك، مع عدالة كافية في التوزيع، ووضع برامج زمنية تفصيلية لهذا التوزيع.

(ج) الوفاء باحتياجات المناطق المجاورة:

إن سنوات القحط التي مرت بها مصر امتدت إلى البلاد المجاورة، مما تطلب التزاما أخلاقيا بتغطية حاجات الوفود القادمة من البلاد الأخرى. وهكذا فعندما جاءت السنوات المجدبة وعم القحط البلاد أصبح الناس يتوافدون من البلاد المجاورة ليشتروا الطعام ويسدوا حاجاتهم.[٤٢] حيث أقبلت القوافل لاستبدال ما لديها من أشياء أو نقود للحصول على الطعام.

فهؤلاء اخوة يوسف عليه السلام يجيئون من فلسطين يبحثون عن الطعام في أرض مصر -ضمن وفود أخرى- حيث استعد يوسف استعدادا كافيا لهذا الموقف؟ لكي ينهض بمتطلبات البلاد المجاورة بجانب متطلبات

سكان مصر، وللدلالة على ما سبق فإن بنى يعقوب عليه السلام قد جاءوا إلى مصر ثلاث مرات في سنوات القحط.

ومشهد مجيء اخوة يوسف من البدو من أراضى كنعان البعيدة بحثا عن الطعام اتساع دائرة مساحة الفقر، وكيف صارت مصر محط أنظار جيرانها ومخزن الطعام في المنطقة كلها بتدبير يوسف.(٤٣)

وهذا يدلل على أن البلاد المجاورة ظلت تعاني لفترات طويلة من الجدب والقحط وأصاب أهلها الفقر والجوع، واضطر أبناء يعقوب لحمل بضاعة رديئة غير مقبولة من قبل التجار الآخرين.(٤٤)

وهكذا فقد أمكن لمصر ولجيرانها أن يجتازوا الأزمة الاقتصادية الطاحنة التي شملت المنطقة كلها، وأن أهل الشام كانوا يأخذون أقواتهم من مصر حيث نزلت بهم الأزمة الاقتصادية.(٤)

المبحث الثالث

عودة الرخاء بعد انقضاء السنوات العجاف

جاءت عودة الرخاء كحلقة في سلسلة التخطيط طويل الأجل الذي أعد برنامجه يوسف عليه السلام، لمواجهة متطلبات كل مرحلة من مراحله، وبما يتلاءم وطبيعة كل منها. يقول تعالى: **﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلا قَلِيلا مِمَّا تَأْكُلُونَ۞ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلا قَلِيلا مِمَّا تُحْصِنُونَ۞ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾**(٤٦).

لقد بشر يوسف عليه السلام ملك مصر بعام الوفرة الذي يجئ مباركا خصيبا كثير الخير وغزير النعم، يعصرون ويحلبون الضروع رخاء سخاءا، وذلك ناجم عن الأمطار الغزيرة في ينابيع النيل وعلى سائر البلاد.(٤٧)

أولا: البرنامج التخطيطي طويل الأمد الذي أعده يوسف عليه السلام:

أعد يوسف عليه السلام برنامجا زمنيا بعيد الأمد، مقسم إلى ثلاث خطط، تتفاوت فيما بينها زمنيا، حيث يغطى في بعده الزمني الأول سبع سنوات من الرخاء، ويغطي في بعده الثاني سبع سنوات من الكساد، وكلاهما على النقيض تماما من الآخر، وأخيرا فإن هناك سنة واحدة يعود فيها الرخاء من جديد، وهي عبارة عن برنامج قصير الأمد، ويتحقق فيه وفرة في الإنتاج، وخير عميم يتمكن فيه المجتمع من سد حاجاتهم بحرية كافية، مع التمتع برغد العيش، ويتحقق لهم فائض ضخم، يمكن التصرف فيه على

النحو الملائم، وبخاصة في مجال التصنيع، الذي يترتب عليه تحويل المنتجات إلى حالة جديدة، تحقق منافع إضافية متعددة، أكثر مما تحققه السلعة نفسها في حالة استخدامها الاستخدام المعتاد أو في صورتها الخام.

ويلاحظ أن هذه الفترة من الرخاء لم ترد ضمن رؤية عزيز مصر، إذ تضمنت الرؤيا مرحلتين هما: سنوات الرخاء السبع وسنوات الكساد. مما يعنى أن يوسف عليه السلام قد أنبأه الله بهذه النهاية السعيدة للسنوات العجاف، ومن ثم نقل البشارة إلى ملك مصر فارتفعت مكانته لديه.

ثانياً: ارتباط الحالة الاقتصادية بالمشيئة الإلهية:

لقد أوضحت الآيات السابقة أن الغوث مصدره الله سبحانه وتعالى، وأن أرزاق الشعوب مرهونة بما يقدره الله لها، وهذا الاعتقاد يدفع الإنسان إلى بذل أقصى جهد ممكن، مع التوكل على الله في كل خطوة دنيوية يخطوها في مجال الإنتاج، مع قناعة تامة بأن الفرج أو اليسر آت لا محالة مع نهاية الشدة. ومع التسليم بأن هذا المجهود المبذول هو في إطار سعي الإنسان للحصول على معاشه، وهو مصدر ارتزاقه إلا أن هذا العمل يأتي ضمن التكليف الرباني بعمارة الأرض، والاستفادة من مواردها والارتفاع بمستوى استغلالها.

ثالثاً : برنامج التخطيط قصير الأمد:

تبين الآيات القرآنية السابقة كذلك أن فترة الكساد التي عاشها المجتمع المصري لسبع سنوات قد نجح خلالها في الثبات والصمود في مواجهة

الأزمة الطاحنة، من خلال المدخرات التي سبق لجميعها في فترة الرخـــاء، ومن خلال تقنين الاستهلاك، ثم ادخار أكبر جزء منه، مع الاحتفاظ بمقـــدار من الحبوب لاستثماره في الموسم الزراعي الجديد الـــذي يمثـــل المرحلـــة الأخيرة من الخطة طويلة الأمد. وبذلك فإن هذا الموسم يتمثل فـــي النشـــاط الآتي:

١ - تكثيف العمل في النشاط الزراعي من خلال تجهيز الأرض للزراعـــة، وبذرها بالبذور وشملها بالرعاية والعناية، آخذين في الحسبان أن هـــذه الأرض لقد ظلت متروكة لسبع سنوات كاملة بدون عمل، الأمر الـــذي يعني بذل جهد غير عادي لاستعادة النشاط المعتاد للأرض.

٢- تقسيم المحصول إلى أربعة أقسام أحدها يوجه للاســـتهلاك المباشـــر، والثاني للبذور خلال المواسم القادمة، والثالث للتصنيع، والرابع للمبادلة مع البلدان المجاورة، أي للتصدير.

٣- إن عملية التخطيط مستمرة بلا انقطاع بمعنى أن هذا البرنامج الزمني طويل الأمد الذي أعده يوسف لا يعنى نهاية التخطيط ولكنه يمثل منهجا حياتيا يلزم معه استمرار النظرة المستقبلية، والحاجـــة الماســـة إلـــى الاستفادة من المراحل السابقة، مع التأكيد نحو التطلع إلـــى المســـتقبل دوما، والعمل على إجراء توقعات للأوضاع الاقتصادية. إلا أن أهداف كل خطة ومتطلباتها تظل رهنـــا بمختلـــف الاعتبـــارات الاقتصـــادية والاجتماعية والسياسية التي تمر بها البلاد، والتي هي عرضة للتغييـــر من حين لآخر.

رابعاً: بعض ملامح برنامج الرخاء:

١ – يدب النشاط الإنتاجي من جديد في الحياة الاقتصادية بمختلف مظاهرها وتدور عجلة الإنتاج بسرعة أكبر.

٢– يتحقق إنتاج وفير بشكل غير مألوف ؟ لأن عوامل النجاح قد تضافرت مجتمعة فالماء وفير والعمل على قدمين وساقين، مع تجهيز كامل للبنية التحتية ونظام دقيق للعمل وهناك استفادة كبيرة من خبرة السنوات السابقة، مع تعاون تام، والتزام منقطع النظير. وفوق كل ذلك هناك الإدارة الرشيدة الحازمة. ولا عجب في ذلك فالحبة الواحدة تنبت سبعمائة حبة، يقول تعالى: **﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾**(٤٨). وهذا التشبيه ليس على سبيل المبالغة ولكنه استشهاد بشيء مألوف ومتعارف عليه بين المزارعين.

٣– ينعم السكان باستهلاك عالي بسبب وفرة الإنتاج، دون إنقاص لمتطلبات الادخار أو التصنيع أو التصدير.

٤– إن برنامج الخطة طويلة الأمد يمثل فترة أو حقبة زمنية ضمن حياة البشرية، وهذا يقتضي العمل على استمرارية التخطيط من حيث تحديد الأهداف وطرق تنفيذها.

٥– العمل على ازدهار عدة قطاعات إنتاجية على النحو الآتي:

أ–القطاع الزراعي:

حيث جرى استغلال الأرض بكثافة عالية ويعمل دؤوب وتحقق عن هذا النشاط إنتاج كبير.

ب-القطاع الصناعي:

وتم خلاله تصنيع جزء كبير من الفائض في صورة دقيق أو عصائر أو زيوت وغيرها من أصناف الغذاء التي أجريت عليها أعمال صناعية تحويلية.

ج-القطاع الخدمى "التخزينى":

حيت تم تخزين جزء كاف للاستفادة منه مستقبلا وقت الحاجة إليه.

د-قطاع التجارة:

ويشمل التجارتين الداخلية، والخارجية، ذلك أن وفرة الإنتاج وزيادة الدخول تسمح بحركة مبادلات تجارية داخلية واسعة، إضافة إلى حركة المبادلات الخارجية مع الدول المجاورة لتصريف الفائض في الإنتاج واستيراد أصناف لا تنتجها البلاد.

خامساً: مركز يوسف عليه السلام ومكانته العلمية:

إن الأعمال التي قام بها يوسف عليه السلام على امتداد الدورة الاقتصادية الكاملة التي ترضت لها مصر والقيام بكافة متطلبات هذه المرحلة تؤكد على أن الله قد رفع ذكره ورفعه درجات عليا بما آتاه من علم النبوة، ومن ثم فإن إدارته للشئون الاقتصادية جعلت منه أشهر وأبرع وأقدر رجل على المستوى العالمي في مجال السياسة والاقتصاد وحل مشاكل الشعوب.(٤٩)

المبحث الرابع
ارتباط النشاط الاقتصادي بالإيمان العقائدي

أولاً : الربط بين الأرزاق والاستغفار:

من المعروف أن النشاط الاقتصادي يتم من خلال تضافر عناصر الإنتاج المالية والبشرية، والتي يقودها الريادي أو المنظم، الذي يقوم باختيار هذه العناصر، ويعمل على مزجهما معا بالصورة التي تحقق الاستخدام الأمثل لهما. ويتم هذا العمل الفني في أي نشاط اقتصادي وعلى أي مستوى وبغض النظر عن النظام الاقتصادي المتبع، وضعيا أم اسميا.

وتركز جميع الأنظمة الاقتصادية الوضعية على الجانب الإنتاجي المادي وتنكر وجود أية رابطة بين النشاط الاقتصادي والإيمان العقائدي. أما النظام الاقتصادي الإسلامي فيؤمن تماما بوجود هذه الرابطة من خلال إيمان المسلم بأن المقادير كلها بيد الله سبحانه وتعالى: يقول تعالى: ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا۞ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا۞ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا**﴾[٥٠].

وتأتى هذه الدعوة من نوح عليه السلام إلى قومه في إطار رسالته إليهم بعبادة الله سبحانه وتعالى وترغيبهم بمتاع الدنيا والفوز في الآخرة. فما من أمة اتقت الله وعبدته وأقامت شريعته، فحققت العدل والأمن للناس جميعا إلا فاضت فيها الخيرات، ومكن الله لها في الأرض واستخلفها بالعمران والصلاح على حد سواء[٥١]. ونستطيع أن نستنتج كذلك أن هناك متغيرات هما الرزق الوفير والاستغفار، وأن الاستغفار دالة للرزق الوفير[٥٢]

ونرى الربط واضحا بين العقيدة والنشاط الاقتصادي، ففي هذه الآيات، نجد نوح عليه السلام قد أطمع قومه بخير الدنيا والآخرة من خلال الربط بين الاستغفار والأرزاق، والربط بين صلاح القلوب واستقامتها على هدى الله وبين تيسير الأرزاق وعموم الرخاء. ولقد أطمعهم بالرزق الوفير المرتبط بالمطر الغزير الذي تنبت به الزروع وتجري به الأنهار، إضافة إلى رزق الذرية من البنين التي يحبونها والأموال التي يطلبونها ويعزونها(٥٣).

ويقول تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾(٥٤).

وتربط هذه الآية بين الإيمان من جهة وبين فيض الخيرات من جانب الخالق من جهة أخرى فالكفر وجحود النعمة من قبل البشر فيه إغضاب للخالق، وانتشار الظلم والفساد بين الناس، ومن هنا فإن الله سبحانه وتعالى يمنح الناس الفرصة لعباده المرة تلو المرة، للتصديق برسالات السماء والبعد عن الشرك. وهذه الاستجابة من البشر ستقترن بفرض غير متصل من الخيرات يأتي من السماء والأرض.

وقد يسأل سائل كيف يوسع الله الأرزاق على أمم لا تتقى الله ولا تقيم شريعته؟ وتكون الإجابة أن هذا هو الابتلاء من عند الله سبحانه وتعالى. كذلك فإن ظاهر حياتهم هو الرخاء وسعة الرزق، غير أن هذا الرخاء تأكله آفات الاختلال الاجتماعي والانحدار الأخلاقي أو الظلم والبغي وإهدار كرامة الإنسان(٥٥).

ويقول تعالى في سورة الكهف: ﴿**وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ۞ كِلْتَا**

الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا۞ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالا وَأَعَزُّ نَفَرًا۞ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا۞ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنقَلَبًا۞ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلا۞ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا۞ وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ إِنْ تُرَنِي أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالا وَوَلَدًا۞ فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنْ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا۞ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا۞ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا۞ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا۞ هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾(٥٦).

وتشير الآيات السابقة إلى أهمية إرجاع الفضل في الأرزاق لله سبحانه وتعالى، وأن الإنسان يجب أن يعلم أن قدراته محدودة، وأنه لا يستطيع أن يحقق هذا الخير الوفير بقدراته الذاتية، كما أنه لا يستطيع الحفاظ على هذه الخيرات والثروات إلا إذا شاء الله له ذلك، وأن عاقبه الظلم قد يكون خسرانا أيضا في الدنيا، وكانت نتيجة هذا الظلم والتعالي على مخلوقات الله الذين لم ينالوا مثل هذا الحظ من الغنى والثروة والأبناء أن خسف الله بهذه الجنات ولم يبق على أي منها كعقاب لمن يجحد نعمة الله ولم يؤد حقوق العباد.

وهكذا فإن العباد مطالبون بالشكر دائما على النعم التي وهبها الرازق ويكون هذا الشكر بإعطاء أصحاب الحقوق حقوقهم وبالتفاني في العمل والجد والاجتهاد والإخلاص فيه.

ثانياً: اليسر بعد العسر:

لقد وعد الله عباده المتقين بأن الفرج آت لا محالة وأن الشدة في الحياة ستتبعها سعة في الرزق طالما أن الإنسان مواظب في عمله ومثابر عليه ولديه إيمان بالله لا يتزعزع وصبر على المحن والشدائد لا يهتز ولا ينفذ. يقول تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا۞إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾(٥٧).

وتخاطب هذه الآيات الرسول عليه الصلاة والسلام، بأن العسر لا يخلو من يسر يصاحبه ويلازمه، فحينما ثقل العبء شرح الله صدره فخفف حمله الذي أنقض ظهره وكان اليسر مصاحبا للعسر يدفع إصره ويضع ثقله(٥٨).

وهى في الوقت نفسه رسالة عامة إلى المؤمنين كافة للتخفيف عنهم ومواساتهم في أوقات الكروب والشدائد مع التأكيد بأن فرج الله آت لا محالة، ولو بعد حين . ويقاس ذلك أمام كل رسالة مكلف بها الإنسان باعتبارها مهمة عظيمة وأمانة ثقيلة وأن حملها يقتضي الاستعانة بالله والصبر على المحن. وأن الصبر جزاؤه البشرى في الدنيا والآخرة، يقول تعالى: ﴿وَبَشِّرْ الصَّابِرِينَ﴾(٥٩).

وهكذا عوض الله سبحانه وتعالى يوسف عن كل المحن التي تعرض لها المكانة العالية في الأرض فخرج من السجن إلى مجلس الإمارة والسلطان ليقيم العدل ويبسط الأمن والاستقرار(٦٠).

ثالثاً: النجاح في العمل وقطف ثماره يتوقف على حصول الأسباب:

"إن كل عمل يعمله الإنسان يتوقف ثمرته ونجاحه على حصول الأسباب التي اقتضت الحكمة الإلهية أن تكون مؤدية إليه، وعلى انتفاء

الموانع التي من شأنها بمقتضى الحكمة أن تحول دونه .وقد مكن الله تعالى الإنسان بما اعطاه من العلم والقوة من دفع بعض الموانع وكسب بعض الأسباب وحجب عنه البعض الآخر فيجب علينا أن نقوم بما في استطاعتنا من ذلك ونبذل في إتقان أعمالنا كل ما نستطيع من حول وقوة وأن نتعاون ويساعد بعضنا بعضا على ذلك ثم نفوض الأمر فيما وراء كسبنا إلى القادر على كل شيء"

وتظل الحاجة للمعرفة والبحث العلمي من ضرورات تحقيق التقدم، فدول العالم في سباق محموم لاكتساب أكبر قدر من المعرفة الدقيقة المستمدة من العلوم وتظل المعرفة هي مفتاح النجاح في الدولة العصرية، وخلق نهضة اقتصادية في كل المجالات ويتجسد ذلك في نجاح ألمانيا واليابان على سبيل المثال في تفجير ينابيع العلم والمعرفة من خلال الثورة التكنولوجية لتحقيق التفوق التكنولوجي والتقدم الاجتماعي(٦١).

وهناك الآن فرصة ذهبية أمام هذه الأمة للاستفادة من قوة العلم الجديدة والمتجددة من أجل تطوير واستثمار القوة القديمة التي كنا أصحابها يوما من الأيام(٦٢).

الخاتمة

أولا : اختبار صحة الفرضيات:

١- لقد أعطى الله تعالى ليوسف عليه السلام الكثير من المؤهلات والمقومات التي ساعدته على القيام بهذه المهمة، مثل: العلم والأمانة والصبر وتفسير الأحلام، إلا أن هذه المقومات ظلت في إطار القدرات التي يمكن أن تتوفر للبشر من غير الأنبياء، وأن ما قام به يوسف هو استفادته من القدرات الممنوحة له، فهو لم يستخدم في هذه الأعمال قدرات استثنائية ليست في متناول البشر، وبالتالي فيمكن للأفراد القيام بها إذا التزموا بمنهج الله في أعمالهم، وبناء عليه فإننا نستطيع الحكم بصحة الفرضية الأولى التي قامت عليها هذه الفرضية الدراسة بشكل واضح وجلي من حث أن الأعمال التي قام بها يوسف عليه السلام يمكن القيام بتطبيقات لها في الوقت الحاضر.

٢- إن التنظيم الدقيق والتدبير المحكم الذي يمكن أن يصنعه الإنسان كفيل بالكشف عن القدرات الكامنة والمختزنة لديه بحيث تجعله قادرا على الصمود لسنوات طويلة في مواجهة أية كوارث فلقد استطاع الشعب المصري في ظل قيادة حكيمة من الصمود أمام كارثة اقتصادية بلغت منتهاها، وما كان لهذه النتيجة أن تتحقق بدون الاستفادة إلى أقصى حد ممكن من الطاقات التي منحها الله للإنسان الذي نجح في العيش لسنوات طويلة وفق نظام دقيق من الإنتاج والاستهلاك و الادخار جعلته قادرا على تحمل أهوال هذه الشداد من حيث مواجهة الجوع

وقسوته والصبر عليه.

وتحمل الأمراض ومخاطرها، حيث كشفت الأحداث عن معدن الإنسان وقدراته، مما يستدل أيضا على صحة الفرضية الثانية وهى أن للإنسان طاقات كبيرة مختزنة تظهر عند المحن.

٣- إن المخطط الذي وضعه يوسف عليه السلام كان قائما على المنهج العلمي في مجال التخطيط السليم والمحكم، الذي جعله يستفيد أقصى استفادة من الطاقات الإنتاجية المتاحة وقت الرخاء، فيدخرها لوقت الشدة، وأن يقيم الصوامع والمخازن والأهرامات، ويحفر الترع وينظم شبكات الري والمواصلات، وأن يقيم المصانع استرشادا بآراء العلماء والتقات وأهل الخبرة، دون الاعتماد على المجتمع الدولي والتراخي في مواجهة هذه المشكلة. وبذلك يستدل على أن أي مجتمع من المجتمعات يستطيع التغلب على مشاكله بالاعتماد على موارده الذاتية، ولا حاجة لتدويل مشكلاته والرضوخ لمطالب من يقدم العون له، وبناء على ما تقدم فانه يستدل أيضا على صحة الفرضية الثالثة، والقائمة على أساس إعطاء الأولوية في حلول المشاكل الاقتصادية للجهود الذاتية الفاعلة في ظل برنامج علمي محكم وسليم:

الاستنتاجات :

١- أن أي مجتمع من المجتمعات عرضة لسنوات طويلة من الشدة والأحوال الاستثنائية، التي لا تعني وقوف الحاكمين مكتوفي الأيدي، وإنما يقتضي الأمر توقع حدوث مثل هذه التقلبات، والإعداد لها إعدادا علميا

كافيا يفي بمتطلباتها. ويستدل من قصة يوسف عليه السلام أن الدولة قد نجحت تماما في التغلب على هذه الأزمة العسيرة رغم شدتها والخروج منها للوصول إلى بر الأمان، مما يستدعى من المجتمعات المعاصرة التحسب لكافة الاحتمالات، وإعداد خطط تتصف بالمرونة الكافية لمواجهتها، وتجنيب المجتمع أية مخاطر من جراء وقوعها.

٢- على المسلم أن يكون في حالة عمل دؤوب بلا توقف سواء في حالات الرخاء أو الشدة؟ لأن من شأن ذلك زيادة الإنتاج من جهة والحفاظ عليه من جهة أخرى، وتنظيم استهلاكه من جهة ثالثة.

٣- إن فترة الرخاء لا تعنى ترخيصا مفتوحا أو حقا مطلقا للتهافت على الاستهلاك أو القيام بالتبذير والإسراف، ذلك أن فترة الرخاء يجب أن يتذكر خلالها المسلم أنه عرضة لظروف وأحوال قاسية فعليه الحفاظ على النعم حيث يحفظ الله الإنسان وقت الشدائد. وبذلك فإن الرخاء يتضمن ابتلاء للإنسان لا يقل عن الابتلاء في حالة الشدة.

الهوامش والمصادر والمراجع

١-الشيخ الألبانى: سلسلة الأحاديث الضعيفة، المجلد الثانى، صفحة ٢٢٦.
٢-سورة آل عمران: الآية ١٤٠.
٣-أخرجه مسلم (ج٤) صفحة ٢٢٩٥ (٥٣) كتاب الزهد والرقائق (١٣) باب المؤمن كله خير (٢٩٩٩) صحيح مسلم الإمام أب الحسن مسلم بن الحجاج، تحقيق محمد فؤاد عبد العاطى، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة. مصر.
٤-أخرجه البخارى (ج٢) صفحة (٣٨٠) (١١) كتاب الجمعة باب الجمعة في القرى والمدن (١٨٩٣) فتح البارى بشرح صحيح البخارى، أحمد بن حجر العسقلانى، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
٥-سورة يوسف: الآية ٣.
٦-د. محمد السيد الطنطاوى: القصص في القرآن الكريم، قصة آدم ونوح عليهما السلام، سلسلة كتب "إقرأ" العدد ٥٦، القاهرة، فبراير ١٩٩١م.
٧- سورة آل عمران: الآية ٦٢.
٨- عبد الله العلمى: مؤتمر تفسير قصة يوسف عليه السلام، مؤسسة دار الفكر، بيروت ١٩٧٠، صفحات (٧٩٣-٧٩٦).
٩-د. جمال عبد الهادى محمد مسعود، د. محمد رفعت جمعة: أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ، دار طيبة، الرياض، ١٩٨٦/، صفحة ١٠٧.
١٠-سورة يوسف: الآيتان (٤٣-٤٤).
١١-سورة يوسف: الآيات(٤٦-٤٩).

١٢-سورة يوسف: الآية(٤٤).

١٣-سورة النحل: الآية .٤٣

١٤-سورة يوسف الآية .٥٤

١٥-محمود شلبى: حياة يوسف، دار الجيل، الطبعة الرابعة، بيروت ١٩٨٢، ص١١١.

-محمد أحمد جاد المولى: قصص القرآن الكريم، المكتبة الأموية، دمشق، بيروت ١٩٧٨، صفحات(٩٤-٩٥).

16-Samuelson & Nordhaus: Economics 14th Edition, Mc Graw-Hill, New York, P.566.

ولمزيد من الاطلاع حول المشاريع الكبرى والدورات الاقتصادية أنظر:

Andrei Yudanov: Big Business and the Economic Cycle, Progress Publishers, Moscow 1989.

١٧-د. على لطفى: التخطيط الاقتصادي- دراسة نظرية تطبيقية، مكتبة التجارة والتعاون، الجزء الأول، القاهرة ١٩٨٨م، ص.١١

١٨-د. محمد فؤاد الصراف: خطة النقد الأجنبى، مكتبة عين شمس، القاهرة، ١٩٧٥، ص.١

١٩-د. محمد فؤاد الصراف: المرجع السابق: ص.٤

٢٠-عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء، دار احياء التراث العربى، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ص.١٣١

٢١-د. على لطفى المرجع السابق، صفحة .١١

٢٢-عبد الله العربى: المرجع السابق: صفحة .٨٨٥

٢٣-عبد الوهاب النجار: المرجع السابق، صفحة .٢٩

٢٤-سورة يوسف: الآية .٥٥

٢٥- سورة النجم آية .٣٢

٢٦- أخرجه مسلم (ج٣) صفحة (١٤٥٦) كتاب الإمارة (٣) باب النهى عن طلب الإمارة والحرص عليها (١٧٣٣).

٢٧-محمد متولى الشعروای: تفسير الشعراوى، دار أخبار اليوم، قطاع الثقافة، المجلد الثالث، ص.١٢١٥

٢٨-سيد قطب: في ظلال القرآن الكريم، دار الشروق، الطبعة الشرعية السابعة عشرة، بيروت ١٩٩٢، صفحة .٢٠٠٥

٢٩- تميم ضيف الله مزيد إضهير: الصراع بين الحق والباطل في قصة يوسف عليه السلام، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، ١٩٨٦/١٩٨٧ صفحة ١٦٠. نقلا عن د. عبد الكريم الخطيب: التفسير القرآنى للقرآن.

٣٠-محمود شلبى: المرجع السابق، صفحة .١١٣

٣١-سورة يوسف: الآيتان (٤٧-٤٨).

٣٢-محمد أحمد جاد المولى: المرجع السابق، صفحة .٩٥

٣٣-سورة يوسف: الآية .٤٧

٣٤-تميم ضيف الله مزيد إضهير: المرجع السابق، صفحة .١٦١

٣٥- عبد الله العلمى: المرجع السابق، صفحات(٨٨٣-٨٨٤).

٣٦-سورة يوسف: الآية .٤٧

٣٧- أخرجه الترمذى (ج٣/ص٥٠١) كتاب الزهد (٤٧) باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل رقم (٢٣٨٠)، قال أبو عيسى: حسن صحيح.

وحسنه الحافظ في الفتح وفي لفظ ابن ماجه ذكر: حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه.

٣٨-سورة يوسف: الآيات (٤٧-٤٩).

٣٩-سورة آل عمران الآية ١٤٠.

٤٠-محمود شلبى: المرجع السابق: صفحة ٩٤.

٤١-د. جمال عبد الهادى محمد مسعود، د. وفاء رفعت جمعة: المرجع السابق، صفحات (١٣٠-١٣١).

٤٢-تميم ضيف الله مزيد إضهير: المرجع السابق: صفحات (٦٢-٦٣).

٤٣- سيد قطب: المرجع السابق، صفحة ٢٠١٥.

٤٤- تميم ضيف الله مزيد اضهير، المرجع السابق، صفحات (٨١-٨٢).

٤٥- د. جمال عبد الهادى محمد مسعود، د. وفاء محمد رفعت جمعة: المرجع السابق، صفحات (١٣٠-١٣١).

٤٦- سورة يوسف: الآيات ٤٧-٤٩.

٤٧- محمود شلبى: المرجع السابق، صفحة ٩٦.

٤٨-سورة البقرة: الآية.٢٦١

٤٩- محمود شلبى: المرجع السابق، صفحة ٢٣٢.

٥٠- سورة نوح: الآيات ١٠-١٢.

٥١- سيد قطب: المرجع السابق، صفحة ٣٧١٣.

٥٢- د. عبد الرحمن يسرى أحمد: دراسات في علم الاقتصاد الإسلامي، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، صفحة ١٠٤.

٥٣- سيد قطب: المرجع السابق.

٥٤-سورة الأعراف: آية ٩٦.

٥٥- سيد قطب: المرجع السابق.

٥٦- سورة الكهف: الآيات ٣٢-٤٤.

٥٧- سورة الشرح: الآيتان ٥-٦.

٥٨- سيد قطب: المرجع السابق، صفحات ٣٩٢٩-٣٩٣٢.

٥٩- سورة البقرة: الآية ١٥٥.

٦٠-تميم ضيف الله: المرجع السابق ص١٦٣.

٦١-د. عمار بوحوش، د. محمد محمود الزيات: مناهج البحث العلمى، أسس وأساليب، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ١٩٨٩م، ص٧.

٦٢-د. حسين كامل بهاء الدين: التعليم والمستقبل، دار المعارف بالقاهرة، ١٩٩٧م. ص٥.